

## حماد الراوية والمهنية المتممة

م.م. إياد إبراهيم فليح

الكلية التربوية المفتوحة

المقدمة :

لقد أستقر لدى دارسي الشعر العربي قبل الاسلام أن المراحل التي قطعها هذا الشعر في رحلته الطويلة وصولاً الى صورته الناضجة المكتملة يشوبها الغموض ويلفها التساؤل ، إذ لم يصل ألينا من شعر تلك المراحل ما يكشف لنا تلك الأولوية الغامضة وكل ما بأيدينا هو مثال لنتاج شعري ناضج لا يبتعد في توغله الى أبعد من مئتي سنة قبل الاسلام – حسب رأي الجاحظ – ولولا فضل الرواية والرواة لما كان لنا أن نتعرف على هذا التراث الادبي وبغض النظر عما أصابه عبر رحلة الرواية وتدخلات الرواة ، فالمهم تاريخياً أن هذا الشعر قد وصل ، ولكن علماء العربية الذين عاهدوا أنفسهم على خدمة هذه اللغة وأدبها كان يحز في أنفسهم أن يجدوا طائفة من هؤلاء الرواة الذين أخذ عنهم الناس الشعر وقد أئسم بعضهم بالفساد وعدم الثقة وتقصد الوضع ، فما كان من هؤلاء العلماء والنقاد إلا أن يبصروا الناس بمثل هؤلاء وأن يعملوا جاهدين في توثيق كل الأشعار التي تروى عنهم ، لا سيما وأن هؤلاء الرواة من الكثرة فهم لا يحصيهم العدّ وقد حملوا الشعر الجاهلي إلى عصر التدوين وكانوا في الغالب من رواة البصرة والكوفة الذين لا نستطيع أن نلصق التهمة بهم جميعاً ولا بطرف منهم دون طرف ، فبين الطرفين جميعاً متهمون وموثقون ، ولكن ما يمكن أن يسجل في هذا المقام أن رواة البصرة كانوا متقدمين على رواة الكوفة إذ أن رأس رواة البصرة أبو عمرو بن العلاء كان أميناً موثقاً ، بينما كان رأس رواة الكوفة حماد بن ميسرة ( المعروف بحماد الراوية ) كان متهماً بالوضع والنحل غير ثقة يشوب ما يرويه الشك والحذر ، ولما كانت طائفة من العلماء المشهورين قد وجدناهم بشيرون من طرف آخر بعلمية هذا الرجل وذكائه وقوة حفظه اندفعنا بهذا البحث قاصدين كشف الحقيقة وإماطة اللثام عن تلك العلمية التي يئتمها البعض بالفساد ، بسبب ما يروى عن حماد من روايات تثبت براعته في النحل وجرأته في ذلك ، وقد سعينا لهذا الهدف من خلال جعل البحث في مبحثين ، يتوجه الأول الى حياته والثاني الى علميته المتهمه .

المبحث الأول : حياته :

أولاً : نسبه، وسيرته :

أختلفت المصادر في أسم حمّاد فمنها ما ذكر أنه ( حماد الراوية )<sup>(١)</sup> ومنها ما ذكر أنه ( حمّاد بن ميسرة )<sup>(٢)</sup> وبعضها ذكر أنه ( حمّاد بن سابور )<sup>(٣)</sup> وزعم صاحب الخزانة أنه ( مولى بني شيبان )<sup>(٤)</sup> في حين جعل ابن خلكان ولأهه، لبني بكر بن وائل<sup>(٥)</sup> ويشير كذلك في الموضوع نفسه الى أنّ ابن قتيبة وياقوت الحموي ذكرا أنه مولى مكنف بن زيد الخيل الطائي الصحابي (رضي الله عنه)<sup>(٦)</sup> كما أشارت المصادر الى أصله الديلمي<sup>(٧)</sup> ، وفي رواية ينقلها لنا صاحب الاغانى عن الأصمعي يعترف فيها حمّاد بولائه لبني شيبان " قال الاصمعي : كان حمّاد أعلم الناس إذا نصح . قال وقتلت لحمّاد : ممّن أنتم ؟ قال : كان أبي من سبي سلمان بن ربيعة فطرحتنا سلمان لبني شيبان ، فولأؤنا لهم . قال وكان أبوه يسمّى ميسرة ويكنّى أبا ليلى " <sup>(٨)</sup> ومهما يكن من أمر فالمرجح ان الرجل له بعض الاصول غير العربية .

أمّا ولادته فقد ذكر الزركلي إنها كانت في الكوفة سنة (٩٥ هـ) ، وسكتت المصادر الأخرى عن ذكر الولادة مكتفيةً بانتسابه للكوفة وأنه " كان من أهل الكوفة " <sup>(٩)</sup> . وكان حمّاد " من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارهم وأشعارهم وأنسابهم ولغاتهم ، وكانت له حضوة عند الأمويين إذ كانت ملوك بني أمية تقدّمه وتؤثره وتستزيره فيفد عليهم وينادهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ويجزلون صلته " <sup>(١٠)</sup> . فلمّا زال أمر بني أمية أهمله، العباسيون وأبعده فكان مطرحاً مجفواً في أيّامهم<sup>(١١)</sup> . وقيل أنه كان في أول حياته يتشطر ويصطحب الصعاليك واللصوص ثم طلب الأدب وترك ما كان عليه<sup>(١٢)</sup> ، وقيل أنه لما سحب اللصوص نقب ذات ليلة على رجل وأخذ ماله ، فكان فيه جزء من أشعار الأنصار ، فقرأه حمّاد فأستحلاه وحفظه ثم طلب الأدب والشعر وأيام العرب ولغاتها بعد ذلك " <sup>(١٣)</sup> . وعلى الرغم مما تحمله هذه الحكاية من الخيال فإن ذلك لا يبرر رفضها إذ نصّت عليهما عدد من المصادر القديمة .

أمّا وفاته فكانت في بغداد سنة (١٥٥ هـ أو ١٥٦ هـ) وقيل تولى الخلافة المهدي في اليوم السادس من شهر ذي الحجة سنة (١٥٨ هـ) وقد توفي حماد في خلافة المهدي سنة

- ١ - ينظر : نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، ص ٣٥ ، وينظر : مصادر الشعر الجاهلي ص ١٥٥ ، مختار الأغاني ج ٢ ، ص ٤٣٨ .
- ٢ - ينظر : كتاب الأغاني المجلد السادس ، ص ٦٨ ، خزانة الأدب ج ٩ ، ص ٤٤٦ ، وفيات الأعيان ج ١ ، ص ٤٤٨ ، معجم الادباء ج ١٠ ، ص ٢٥٨ .
- ٣ - ينظر : الاعلام ج ٢ ، ص ٣٠١ ، وفيات الأعيان ج ١ ، ص ٤٤٨ .
- ٤ - ينظر : كتاب الاغانى مجلد ٦ ، ص ٦٨ ، خزانة الأدب ج ٩ ، ص ٤٤٦ .
- ٥ - ينظر : وفيات الأعيان ج ١ ، ص ٤٤٨ ، معجم الأدباء ج ١٠ ، ص ٢٥٨ ، وهو فيهما " مولى بني بكر بن وائل وقيل مولى مكنف بن زيد الخيل " .
- ٦ - ينظر : المصدر والصفحة نفسيهما .
- ٧ - ينظر : المصدر والصفحة نفسيهما .
- ٨ - ينظر : كتاب الأغاني ، مجلد ٦ ص ٦٨ .
- ٩ - ينظر : الاعلام ج ٢ ، ص ٣٠١ ، نزهة الألباء ص ٣٥ .
- ١٠ - ينظر : كتاب الأغاني مجلد ٦ ، ص ٦٨ ، الاعلام ج ٢ ، ص ٣٠١ - ٣٠٢ .
- ١١ - ينظر : خزانة الأدب ج ٩ ص ٤٤٩ .
- ١٢ - ينظر : الاعلام ج ٢ ص ٣٠٢ .
- ١٣ - خزانة الأدب ج ٩ ص ٤٥١ .

(١٦٩هـ) بقرية يقال لها الرذ من أعمال ما سبذان وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة (من الطويل) :

وأكرم قبرٍ بعد قبرٍ محمدٍ      نبيّ الهدى قبر بما سبذان  
عجبت، لكفّ هالكت التراب فوقه،      ضحاً كيف لم ترجع بغير بنان<sup>(١)</sup>

ثانياً : لقبه :

تكاد أغلب مصادر الشعر الجاهلي تتفق على ترديد رواية واحدة متشابهة في سبب تلقب حماد بالراويّة وهي أنّ الوليد بن يزيد قال لحماّد سائلاً "إياه" بما استحققت هذا اللقب فقيل لك : حمادّ الراوية ؟ قال : لأنني أروي لكل شاعرٍ يعرفه أمير المؤمنين أوسع به ، ثم أروي لأكثر منهم ممن لا تعرف بأنك لا تعرفهم ولا سمعت بهم ثم لا أنشد شعراً لقديم أو محدث إلا ميّزت القديم منه من المحدث . قال : إنّ هذا لعلم وأبيك كثير فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثير ، ولكنني أنشدك على أيّ حرفٍ شئت من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة ، سوى المقطعات من شعر الجاهلية . قال سأمتحنك . وأمره ، الوليد بالإنشاد . فأنشده ، حتى ضجر الوليد ، ثم وكل به من أستحلفه أن يصدقه ، عنه ويستوفي عليه . فأنشده ألفي قصيدة وتسعمائة قصيدة للجاهليين ، وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمائة درهم " (٢) وهو الذي جمع السبع الطوال ( المعلقات ) وهي قصائد مختارة لأشهر شعراء عرب الجاهلية ، وحث العرب على قراءتها حتى نالت حظاً كبيراً من الحفظ والتفسير واتخذها الشعراء أسلوباً للنظم (٣) ولعلّ روايته لهذه القصائد المطولة علاقة بهذا اللقب ومهما يكن سبب التسمية فإنّ معرفته الواسعة بكلام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها وأيامها جعلتهم يطلقون أسم الرواية علماً عليه ، ويروى عن الهيثم بن عدي أنّه كان يقول : " ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حماد " (٤) وكان ابن سلام يقول " وكان أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها : حماد الراوية " (٥) إلا ان ابن قتيبة يشير في مقابل ذلك الى سوء خلقه حين ذكره ، ضمن ثلاثة ذكرهم يقال لهم الحمادون وكانوا يرمون بالزندقة (٦) ولعلّ موقف ابن قتيبة فيما ذكره ، هو ما أوحى للدكتور شوقي ضيف أنّ يصفه بالفسق والمجون والزندقة (٧) .

والذي يهمننا هو أنّه أستحق اللقب واصبح لقب ( الراوية ) إذا ذكر فائه لا يذهب الى غيره ، ولا سيما كما ذكرنا أنّ أسم حماد ارتبط بروايته للمعلقات مجموعة في ديوان خاص ، وهي عنده لسبع شعراء هم امرؤ القيس وزهير وطرفة وليبيد وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعنترة . وقد ، عني الشراح بهذه القصائد فقاموا بشرحها مراراً كشرح الزوزني على رواية حماد وشرح التبريزي وشروح أخرى (٨) وقد وقف الدكتور محمود عبد الله

<sup>١</sup> - ينظر : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٥١ .

<sup>٢</sup> - خزنة الأدب ج ٩ ص ٤٤٦ ، معجم الادباء ج ١٠ ص ٢٥٩ ، كتاب الأغاني مجلد ٦ ص ٦٨ - ٦٩ ، وفيات الاعيان ج ١ ص ٤٤٨ .

<sup>٣</sup> - ينظر : الأعلام ج ٢ ص ٣٠٢ ، قراءة عروضية في المعلقات العشر ص ٩ .

<sup>٤</sup> - تاريخ الادب العربي - العصر الجاهلي ص ١٥٠ .

<sup>٥</sup> - طبقات فحول الشعراء ص ٤٠ ، مصادر الشعر الجاهلي ص ٢٥٢ .

<sup>٦</sup> - ينظر : الشعراء والشعراء ص ١٨١ .

<sup>٧</sup> - ينظر : تاريخ الادب العربي - العصر الجاهلي ص ١٥١ .

<sup>٨</sup> - ينظر : م . ت ص ١٧٦ .

الجادر عند هذه المعلقات في دراسة أجزائها في مواصفات الاختيار وهي تحت عنوان ( معلقات العرب دراسة في مواصفات الاختيار ) حاول فيها أن يناقش ويعرض لكثير من الآراء حول هذه المجموعة بما فيها مذاهب العلماء في أسناد أختيارها الى حمّاد من غيره كقصة أختيارها لأمرأ بني أمية<sup>(١)</sup> .

المبحث الثاني : علميّة حمّاد المتهمة :

أولاً : أخباره ورواياته :

يكاد الدارس الذي يبحث في أخبار حماد الراوية أن يحكم بتشابه الروايات وتقاربها وتكرارها في المصادر المختلفة التي عنت به ولا سيما المصادر القديمة إذ نجد أغلب هذه المصادر مثلاً تشير الى حكاية حماد مع الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك ، حيث روي أنّه قال " كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك ، فكان هشام يجفوني لذلك فلمّا مات يزيد وأفضت الخلافة الى هشام جفاني ومكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرّاً ، فلمّا لم أسمع أحداً يذكرني أمنت ، وخرجت ، فصلّيت الجمعة ، ثم جلست عند باب الفيل ، فإذا شرطيّان قد وقفا عليّ فقالا لي : يا حماد ، أجب الأمير يوسف بن عمر . فقلت في نفسي : هذا ما كنت ، أحذر : فصرت ، إليه فرمى كتاباً إليّ فيه : من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر ، أمّا بعد فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إليّ حمّاد الراوية من يأتيك به غير مروّع وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهريّاً يسير عليه اثنتي عشرة ليلة الى دمشق . فأخذتها وركبته ، وسرت ، حتى وافيت باب هشام فاستأذنت فأذن لي ، فدخلت عليه في دار مفروشة بالرّخام وبين كل رخامتين قضيب ، ذهب وحيطانها كذلك ، وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب ، خرّ ، حمز ، وقد تضمخ بالمسك والعنبر وبين يديه مسك مبيوث في أواني الذهب ، يقلبه ، بيده فتفوح روائحه . فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ، وأستدنانني فدنوت ، حتى قتلتي عليه ، فإذا جاريتان لم أر مثلهما ، في أذن كلّ واحدة منهما حلقتان ، فيهما لؤلؤتان توقدان ، فقال لي : كيف أنت يا حمّاد وكيف حالك ؟ قلت : بخير يا أمير المؤمنين . قال : أتدري فيما بعثت ، إليك ؟ قلت : لا . قال بعثت ، إليك لبيت خطر ببالي لم أدري من قاله ؟ قلت : وما هو ؟ قال :

فدعت بالصّبوح يوماً فجاءت قينة في يمينها إبريق

قلت : هذا يقوله عدي بن زيد في قصيدة له . قال : أنشدنيها فأنشدتها :

بكر العاذلون في فلق الصّبوح	ح يقولون لي : ألا تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد اللّ	ه والقلب ، عندكم موهوق
لست ، أدري إذ أكثروا العذل عندي	أعدو يلومني أم صديق
زانها ، حسنّها وقرع عمي	وأثيت ، صلت ، الجبين أنيق

<sup>١</sup> - ينظر : معلقات العرب دراسة في اسس الاختيار ص ٤٩ .

قال : فطرب وقال : أحسنت والله يا حمّاد ، سلني حوائجك . فقلت : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم . قلت إحدى الجارتين . قال : هما جميعاً بما عليهما وما لهما لك . فوهبهما له ، وأنزله في داره ، ثم نقله من غدٍ إلى منزلٍ أعدّه له ، فانتقل إليه فوجد فيه الجاريتين وما لهما وكلّ ما يحتاج إليه . فأقام عنده 'مدة' ، فوصل إليه منه مائة ألف درهم " (١) .

وإذا لم تصدق ؟ هذه الرواية فهذا يعني أنّ حمّاداً قد احتل مكانةً ميّزته ، عن أبناء عصره فيما كان يحفظ ويروي من الأشعار الأمر الذي دعا هشام أن يرسل إليه وهو على 'بعد اثنتي عشر ليلة عن دمشق فضلاً عن تجاوز الخليفة لحالة جفائه . ولم لا ونحن نجد ابن سلام (٢٣١هـ) يقول أنه أول من جمع أشعار العرب وذكر أحاديثها (٢) وأتته عنه ، وعن أبي عمر بن العلاء قد أخذ سائر شيوخ العلم والرواية كخلف الأحمر والمفضل والأصمعي وأبي عبيدة والشيباني (٣) وهو ما يفخر به حمّاد حين يشير إلى أنه أعلم الناس بكلام العرب في حكاية ساقها صاحب الاغاني عن مروان بن أبي حفصة أنه قال " دخلت ، أنا وطريح بن إسماعيل الثقفي والحسين بن مطير الأسدي في جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو في 'فرش قد غاب فيها ، وإذا رجل عنده ، كلما أنشد شاعر شعراً ، وقف الوليد بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال : هذا أخذه من موضوع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من موضوع كذا وكذا من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعر ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : حماد الرواية . فلما وقفت بين يدي الوليد أنشده قلت : ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لحنه لحانة فأقبل الشيخ عليّ وقال : يا ابن أخي ، إنني رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها ، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً ؟ فذهب عني الشعر إلا شعر ابن مقبل ؛ فقلت له : نعم شعر ابن مقبل ؛ قال : فأنشده ، قوله :

سل الدار من جـ نبي حير فواهبٍ إذا ما رأى هضب القليب المضّيع

ثم جزت ؛ فقال لي : قف فوقفت ؛ فقال لي : ماذا يقول ؟ فلم أدر ما يقول ! فقال لي حمّاد : يابن أخي أنا أعلم الناس بكلام العرب . يقال : تراءى الموضعان إذا تقابلا " (٤) .

ولعلّ أبرز ما يمكن أن يميّز حمّاد الرواية تلك الموهبة التي حباه الله بها والمتمثلة بقوة الحافظة التي إذا ما أضيفت إلى امكاناته الشعرية فإنها تجعلنا إزاء شخصيّة تجمع بين صفات العالم المتمكن والشاعر البعيد عن التكلف ، فيروي أنّ " الطرمّاح قال : أنشدت حمّاداً الرواية ، في مسجد الكوفة ، وكان أدكى الناس وأحفظهم ، قولي :

بان الخليط ، بسحرة فتبدّوا

١ - خزنة الأدب ج ٩ ص ٤٤٧ - ٤٤٩ ، الأغاني مجلد ٦ ص ٧٢ - ٧٣ ، نزهة الألباء في طبقات الابداء ص ٣٥ - ٣٩ ، والحكاية فيه تختلف في روايتها في جزائها الأخير (حول مسألة شرب حماد الخمر مع هشام بن عبد الملك) وهو ما نفاه صاحب وفيات الاعيان ص ٤٥٠ واعتبره زيادة على الحكاية وليس بصحيح لأنّ هشاماً لم يشرب الخمر فلا حاجة إلى تلك الزيادة .

٢ - ينظر : طبقات فحول الشعراء ص ٤٠ .

٣ - ينظر : مصادر الشعر الجاهلي ص ٢٥٢ .

٤ - كتاب الأغاني مجلد ٦ ص ٦٩ - ٧٠ .

وهي ستون بيتاً ، فسكت ساعةً ولا أدري ما يريد ، ثم أقبل عليّ فقال : هذه لك ؟ قلت : نعم . قال : ليس الأمر كذلك ثم ردها عليّ وزيادة عشرين بيتاً زاد فيها في وقته ، فقلت له : ويحك ، إن هذا شعر قلته منذ أيام ما أطلع عليه أحد . فقال : قد والله قلت ، هذا الشعر منذ عشرين سنة وإلا فعليّ وعليّ . فقلت : لله عليّ حجةٌ أحجّها حافياً راجلاً إن جالستك بعدها أبداً ؟ فأخذ قبضة من حصى المسجد ثم قال عليّ : لله بكلّ حصاةٍ مائة ، حجةٌ إن كنت ، أبا لي . فقلت له : أنت رجل ماجن والكلام معك ضائع ثم انصرفت " (١) .

كل هذه المواهب التي امتلكها إذن حمّاد قد أهلتها ، ليكون خبيراً بالشعر عالماً بأسراره لا يخفى عليه زيف من قولٍ أو وضعٍ قد يتقصده ، واضع أو أو ينزلق إليه ، وهذه الرؤية الثاقبة الناتجة عن حفظ واسع هي ما أهلتها ، ليكون من ألمع وأشهرهم رواة عصره حتى أنّ أبا عمرو بن العلاء لم 'يسأل' يوماً " عن حمّاد إلا قدّمه ، على نفسه " (٢) . ولعلّ في موقف حمّاد من كذب الفرزدق ما يكشف لنا سعة معارف حمّاد بالشعر ، فقد روي أنّ الفرزدق قد أنشد هشام بن عبد الملك وحماد الراوية حاضر قوله :

وكننت ، كذنب السوء لماً رأى دماً  
بصاحبه يوماً أحال على الدم

فقال له حمّاد : أنت تقوله ؟ قال نعم ؛ قال : ليس الأمر كذلك هذا لرجل من أهل اليمن ؛ قال ومن يعلم هذا غيرك ! فأردت أن أتركه وقد تحلّنيه الناس ورووه ، لي لأنك تعلمه وحدك ويجهله الناس ، جميعاً غيرك " (٣) .

إنّ مثل هذه الحكايات ومثلها الكثير مما تزخر به كتب الأدب والتي لا يتسع القول لذكرها في هذه الدراسة لتقف دليلاً لا يرقى إليه الشك في أنّ حمّاداً رجلاً قد نال اعجاب معاصريه بعقله المتوقّد وأثار دهشتهم ، يقول الهيثم بن عدي " ما رأيت ، رجلاً أعلم بكلام العرب من حمّاد " (٤) .

فإذا كان حمّاد قد نال هذه المكانة في مجال العلم بالشعر وروايته فإنّ مزية أخرى ، تذكر له فيما ناقشه الدكتور ناصر الدين الأسد من أخباره ليستدلّ وبأطمئنان إلى أنّ حمّاد كانت عنده ، كتب فيها أخبار الجاهلية وأنسابها وأشعارها والبعض ، منها كتبه بنفسه والبعض الآخر ، كتب من قبله وأستعان به في تدوين كتبه ، وقد كان أمر كتب حمّاد المشتملة على شعر الجاهليين معروفاً مشهوراً في زمنه حتى أنّ الوليد بن يزيد الخليفة الأموي عندما أراد أن يجمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها فأنه طلب من حمّاد ومن جئاد بن واصل أن يعيروه ما عندهما من الكتب والدواوين فدونها عنده وأعادها بعد ذلك إليهما . ليس هذا فحسب بل أنّ أبا حاتم السجستاني يروي أنّه رأى بعض كتب حمّاد في الشعر الجاهلي وكان يرجع إليها في مقابلة ما جمعه من الشعر (٥) .

غير أنّ قصة الكتب هذه لم تقنع الدكتور شوقي ضيف الذي حاول أن يشير إلى عناية حمّاد بالرواية دون الكتابة وما ، كتب إنّما كتبه عنه تلاميذه ، معتمداً على ما ذكره صاحب الفهرس " لم ، ير لحمّاد كتاب وإمّا روي عنه الناس و'صنفت الكتب بعده " (٦) .

١ - خزنة الأدب ج ٩ ص ٤٥١ - ٤٥٢ .

٢ - كتاب الأغاني مجلد ٦ ص ٧١ .

٣ - كتاب الأغاني مجلد ٩ ص ٧٠ - ٧١ .

٤ - م . ن : مجلد ٩ ص ٧٠ .

٥ - ينظر : مصادر الشعر الجاهلي ص ١٥٦ - ١٥٧ .

٦ - تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي - ص ١٦٠ .

ثانياً : حمّاد ونحل الشعر :

لعلّ من سوء حظ الكوفة أن كان هذا الرواية الشاعر العالم البارع فاسد المروءة فاسقاً ماجناً زنديقاً ، كان ينظم على لسان الجاهليين ما لم ينطقوا به وكثر منه ذلك الأمر حتى عرف به وأشتهر<sup>(١)</sup> وكان ابن سلام (٢٣١هـ) يقول " وكان غير موثوق به : كان ينحل شعر الرجل غيره وينحله غير شعره ويزيد في الأشعار " (٢) وقال ابن سلام كذلك " سمعت ، يونس يقول : العجب لمن يأخذ عن حمّاد كان يكذب ويلحن ويكسر " (٣) ، وتأتي رواية ابن الأعرابي لتأكيد التهمة الموجهة لحمّاد إذ يقول أنه سمع المفضل الضبي يقول " قد سلط على الشعر حمّاد الرواية فأفسده ، فقلت له ؟ وكيف أخطيء في روايته أم يلحن ؟ فقال : ليته كان ذلك ، فإن أهل العلم يردّون من أخطأ إلى الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيها ، فلا يزال يقول الشعر يشبهه به مذهب رجل ، ويدخله في شعره ، ويحمل عنه ذلك في الآفاق فيختلط بأشعار القدماء ولا يتميّز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد وأين ذاك " (٤) ولعل مثل هذه الرواية وغيرها مما يروى عن الكوفيين يدفع الشك الذي قد يساور البعض في أنّ البصريين هم من أنهموه بدافع المناقشة فضلاً على أنّ البصريين الذين أنهموه هم أنفسهم الذين وثقوا رواية معاصره الكوفي ( المفضل الضبي ) (٥) ففي قصة حمّاد مع المفضل الضبي في مجلس المهدي مشهورة ، إذ زاد حمّاد ثلاثة أبيات في مطلع قصيدة زهير :

د غ ذا وعدّ القول في هرمٍ خير الكهول سيّد الحضّر

فأنكرها المفضل عند سماعها ، وعندما سأله المهدي حمّاد بيمينٍ محرّجة اعترف بأنّه أضافها من عنده فأمر المهدي أن ينادى في الناس بإبطال روايته لكذبه وبصحة رواية المفضل (٦) .

وإذا كانت مثل هذه الرواية تؤكد تقصّد حمّاد فيما ، يفسد فإن بعضها الآخر يشيد الى سبب آخر لا يعتمد القصديّة ، فأبو عبيدة قال " قال خلف : كنت أخذ من حمّاد الرواية الصحيح من أشعار العرب وأعطيه المنحول فيقبل ذلك مني ويدخله في أشعارها ، وكان فيه حمق " (٧) . وما نظنه ، إنّ إتهام حمّاد بفساد الرواية ونحل الشعر قد يكون مقبولاً ولا يتعارض مع علميّة الرجل وقدراته العقلية التي اعترف بها كثير من رجال عصره بل وأنبهروا بها ولكن اتهامه ، بالحمق في حكاية خلف الأخيرة فهو أمر يحتاج الى وقفة لانه يجافي الحقائق التي تتكشف لنا في كثير من الروايات التي أشارت الى ذكائه وقدراته العالية في تمييز الشعر المنحول من غيره ، ولعلّ باب المناقشة هو ما دفع خلف الى قوله هذا .

١ - م . ن : ص ١٥١ .

٢ - طبقات فحول الشعراء : ص ٤٠ - ٤١ .

٣ - م . ن : ص ٤١ .

٤ - خزنة الأدب ج ٩ ص ٤٥١ .

٥ - ينظر : تاريخ الادب العربي - العصر الجاهلي . ص ١٥٢ .

٦ - ينظر : مصادر الشعر الجاهلي ص ٤٣٨ - ٤٣٩ ، تاريخ الادب العربي ص ١٥١ - ١٥٢ .

٧ - م . ن : ص ٤٤١ - ٤٤٢ .

## الخاتمة :

يمكن للباحث المتفحص لأخبار حمّاد ورواياته أن يخلص الى جملة من النتائج التي ترسم صورة واضحة لهذه الشخصية التي تجمع بين المتناقضات والتي جعلت معاصريه والذين جاؤوا من بعده ، يذهبون في تقييمه باتجاهات متباينة تقف بين العلميّة حيناً وبين الفسق وفساد الرواية حيناً آخر ، وقد لوحظ أن المصادر المختلفة تباينت في تحديد أسم الشعاع فمنها ما ذكر اسم ( حماد الراوية ) ومنها ما ذكر ( حمّاد ميسرة ) او ( حمّاد بن سابور ) وأختلفوا في ولانته الى بني بكر او شيبان او بني مكلف بن زيد . كما اختلفوا في وفاته وذكرها انها ( ١٥٥ هـ او ١٥٦ هـ ) لكن هذه المصادر اتفقت على قصة اصطحابه اللصوص والصعاليك في أول حياته واثار بعضها الى مسألة حصوله على جزء من أشعار الانصار التي قرأها فكانت النقلة النوعية في حياة هذا الراوية باتجاه الشعر . وهو ما نظن أنّ جانب الخيال يلعب دوراً واضحاً في نسجه ونسج الكثير من الروايات الاخرى بشأن قابليات الرجل المبالغ فيها أحياناً ومع أنّ ذلك لا يلغي أن تكون لدى حمّاد كتب فيها اخبار الجاهلية وانسابها ولعلّ هذه الكتب التي كتبها بنفسه أو جمعها هي التي فسحت المجال لأن يسوق القصص رواية مصاحبته اللصوص وحصوله على جزء من شعر الأنصار لتكون تفسيراً لتلك العلميّة وتلك الكتب التي أمتلكها الرجل فأستعان به الوليد بن يزيد عند ما اراد ان يجمع ديوان العرب .

ثم عالجت هذه الدراسة تلقيبه بهذا اللقب ( الراوية ) واستقر لدى البحث أنّ المصدر تردد حكاية بعينها حدثت لحمّاد مع الخليفة الأموي الوليد بن يزيد كانت السبب في تلقيبه بالراويّة هذا اللقب الذي استحقه بجدارة خاصة وأنه أول من ارتبط اسمه برواية المعلقات السبع . وعندما تعرّض البحث الى أخبار حمّاد حصل على جملة من الأحكام التي أشارت بعلميّة الرجل وقوة حفظه وصفاء ذاكرته وقوة عقله بما ميّزه عن ابناء عصره حتى قرّبه الخلفاء والامراء سائلين إياه في أمر قد يعرّن لهم في شعر أو بيت شعر . ليس هذا فحسب فعن حمّاد وأبي عمرو بن العلاء أخذ سائر شيوخ العلم والرواية امثال خلف الأحمر والمفضل والاصمعي . ليصل البحث في ختامه الى مجموعة من الاخبار التي اشارت الى فساده ونحله الشعر الامر الذي بررناه بأن الرجل يمكن ان يجمع بين العلميّة وصفة الوضع ، لأن الوضع لا يلغي ان يكون الرجل حافظاً للشعر ولا يلغي أن يكون الرجل ثاقب العقل شديد الذكاء فهدي ترتبط بالخلق وهدي ترتبط بالأخلاق وكلّ له خصائصه في الفرد .

## قائمة المصادر والمراجع :

- ١- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية - مطبعة كوستاتسوماس ( د . ط ) . ( د . ت ) .
- ٢- تاريخ الادب العربي - العصر الجاهلي - د. شوقي ضيف . الطبعة الحادية والعشرون - دار المعارف ١٩٩٩ م .
- ٣- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي ( ١٠٩٣هـ ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨١ م .
- ٤- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة الدينوري ( ٢٧٦هـ ) ، الطبعة الأولى قسطنطينية المحروسة ، عالم الكتب ، بيروت ١٢٨٢ هـ .
- ٥- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ( ٢٣١هـ ) ، طبعة دار المعارف ، تحقيق محمود محمد شاكر ( د . ت ) .
- ٦- قراءة عروضية في المعلقات العشر ، د. عبد المنعم احمد صالح التكريتي ، الطبعة الاولى مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٨٦ م .
- ٧- كتاب الاغاني ، أبي الفرج الاصفهاني ( ٣٥٦هـ ) ، المجلد السادس فقط ، الناشر دار الثقافة بيروت ١٩٥٦ م .
- ٨- مختار الأغاني في الأخبار والتهاني ، اختيار ابن منظور محمد بن مكرم ( ٧١١هـ ) الجزء الثاني فقط ، تحقيق عبد الستار احمد فرج - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - الدار المصرية للتأليف .
- ٩- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، د. ناصر الدين الأسد دار الجيل - بيروت لبنان ، الطبعة السابعة ١٩٨٨ م .
- ١٠- معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ( ٦٢٦هـ ) ، الطبعة الأخيرة منقحة مضبوطة مزيدة ، راجعته وزارة المعارف العمومية ، طبع بمطبعة دار المأمون ( سلسلة الموسوعات العربية ) . ( د . ت ) .
- ١١- معلقات العرب دراسة في أسس الاختيار بحث للدكتور محمود عبد الله الجادر مجلة كلية الاداب - بغداد ، العدد الثاني والاربعون ، ١٩٩٧ م .
- ١٢- نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن الانباري ( ٥٧٥هـ ) ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - دار نهضة مصر للطبع والنشر ، الفجالة القاهرة ( د . ت ) .
- ١٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الاولى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ م .